

## الأسلوبية

عنان بن ذريل

الأسلوبية، أو (علم الأسلوب)، علم لغوي حديث يَنَحِثُ في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي، أو الأدبي خصائصه التعبيرية، والشعرية، فتميّزه عن غيره؛ إنها تتعدى الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية، وتعتبر الأسلوب ظاهرة في الأساس لغوية، تدرسها في نصوصها..

هذه الاعتبارات ميّزت البحث الأسلوبي عن (البلاغة)، والتي كانت تدرس الأسلوب بمعيارية نقدية، فتعلّم الأفضل من الكلام؛ في حين تريد الأسلوبية أن تكون علمية، تقريرية، تصف الوقائع، وتصنفها بشكل موضوعي منهجي..

إن مسألة المعيارية والتقريبية بالفعل من أهم المسائل التي شغلت، وتشغل بال المنظرين الأسلوبيين؛ والذين انقسموا بسببها إلى فريقين: فريق أعرض كلياً عن البلاغة، وقواعدها، وفريق ظل يصطنع تحليلاتها، يستلهمها أسرار الأسلوب؛ معتبراً أن (الأسلوبية) لا تستغني عن البلاغة والنقد الأدبي، وأن البحث اللغوي هو نفسه جُسرٌ موصل إلى تاريخ الأدب.

نظرة تاريخية:

عام (١٨٧٥)، أطلق «فون در جابلنتس» مصطلح أسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية، والبلاغية في الكتابة الأدبية، والتي اعتبرها (تفضيلات) خاصة للكاتب، على حد قوله؛ إذ أن الكاتب في إنشائه يختار عدداً من الكلمات، والصيغ دون غيرها، يؤثرها، ويجدها تعبر عن نفسه..

لم تكن الأسلوبية وقتها قد اتضحت معالمها؛ وعلى أثر ازدهار علم اللغة الحديث، على يد فرديناند دي سوسور (١٨٥٧ - ١٩١٣)، انبرى أحد تلاميذه، وهو شارل بالي (١٨٦٥ - ١٩٤٣) لدراسة الأسلوب

بالطرق العلمية اللغوية؛ فقد استهوت به بنى اللغة، فعمل على إرساء قواعد الأسلوب عليها..

تحمّس شارل بالي لتدعيم الأسلوبية كعلم للأسلوب، وتتميزها على الخصوص عن النقد الأسلوبي القديم؛ فأصدر عام (١٩٠٢) كتابه «في الأسلوبية الفرنسية»، ثم عام (١٩٠٥) كتابه «المحمل في الأسلوبية»، أقامهما على الوجدانية وتعبيرية اللغة، واعتبرت محاولته اللبنة الأولى في صرح الأسلوبية العلمية.

وبفعل ما قام به شارل بالي حصر البحث الأسلوبي في الجانب الوجداني للغة، وبالتالي تعبيريتها، قام أحد أتباعه، وهو (مارسيل كريسو)، فحوّل مفهوم التعبيرية إلى مفهوم الحدث الجمالي. وأما علاقة البحث الأسلوبي بالبلاغة والنقد، فقد عمل بيير غيرو، في الخمسينيات (صدرت الطبعة الأولى من كتابه «الأسلوبية» عام ١٩٥٤)، على إظهار الازدواج الوظيفي الذي بين مجال العمل الأسلوبي، ومحتوى التفكير البلاغي؛ إذ إن الموضوع لكل منهما، هو فن الكتابة، وفن التركيب، وفن الكلام، وفن الأدب، [الأسلوبية، ص ٢٠].

وعام (١٩٦٥)، يصدر تزفيتان تودوروف أعمال الشكليين الروس، مترجمة إلى الفرنسية؛ الأمر الذي ينشط الأسلوبية، ويساعد على تبيين موضوعاتها في المجالات اللغوية، وأيضاً النقدية؛ وخاصة، أن رائد هذه الجماعة (جاكسون) ما قىء يُغني البحث اللغوي، والأسلوبي بالأصيل النير من آرائه واجتهاداته؛ وإلى جاكسون نفسه تعود نظرية (وظائف الكلام) التي اعتمدتها الدراسات اللغوية، والأسلوبية على السواء..

إن كل عنصر من عناصر الكلام الستة، في نظره، يُؤلّد (وظيفة) فيه، وهذه العناصر هي:

- ١- الباث، ويولّد الوظيفة التعبيرية، ٢- المتلقّي، وتولّد عنه الوظيفة الإفهامية، ٣- السياق، ويولّد الوظيفة المرجعية، ٤- العلاقة، وتولّد الوظيفة الانتباهية، ٥- النمطية، وتولّد الوظيفة المعجمية، ٦- الرسالة، وتولّد الوظيفة الشعرية؛ وهذه الوظيفة موجودة، وتوجد في الخطاب الأدبي وبه؛ إنها غاية في ذاتها.

وعلى هذا النحو صار الأسلوبيون يطمئنون إلى موضوعهم - مجاله ومنهجيته؛ وعام (١٩٦٩)، يبارك ستيفان أولمان استقرار كل من علم اللغة والأسلوبية، واستقلال الثانية كعلم لغوي نقدي؛ كما أنه يظهر ما للأسلوبية من فضل على النقد الأدبي، وعلم اللغة كليهما..

وعام (١٩٧٠)، أصدر فريدريك ديلوفر كتابه: «الأسلوبية والشعرية الفرنسية» وظهرت طبعته الثانية عام (١٩٧٤)، فنقض البحث الأصولي في العمل الاسلوبي، مُسلّماً بداهة بما قبلية المنهج في كل بحث أسلوبي. وعام (١٩٧١)، أصدر نيقولا ريفاتير كتابه: «في الأسلوبية البنيوية»، فأظهر كيف أن الأسلوب هو العلامة المميّزة للكلام، داخل حدود الخطاب، وأن البنية النوعية للنص هي ذاتها أسلوبه؛ فاللغة تعبر، ولكن الأسلوب يبرز. ولذلك يدرسه من حيث أثره في المتلقي، أي السامع أو القارئ..

## سرّ الأسلوب :

تقوم الظاهرة اللغوية بواقعين وجوديين، هما - على حد تعبير دي سوسور - ظاهرة اللغة، كمدونة معجمية؛ وظاهرة العبارة، أي الكلام أو القول، كتعبير عن فكر قائله..

هذان الواقعان أخذ الباحثون اللغويون والأسلوبيون يحدّدونهما، كلّ حسب تمثّله واجتهاده؛ فاعتبرهما غوستاف غيوم: اللغة والخطاب، ولويس هيلمالف: النظام أو الجهاز اللغوي، والنص أو متن الخطاب، وتشومسكي: الطاقة اللغوية والإنجاز، وجاكسون: النمط والرسالة، وهلم جرّاً...

وقد ذهب ماروزو، إلى أن الأسلوبية تدرس المظهر والكيفية اللذين ينتجان عن اختيار المتكلّم للعناصر اللغوية التي تحت تصرّفه. كما ذهب (سبترز) إلى أن الأسلوبية تحلّل وظيفية العناصر اللغوية، كما يكشفها الانزياح؛ وأن علم اللغة هو الجسر الموصل إلى تاريخ الأدب.. [انظر: دراسات في الأسلوب، ص ٥٤].

وذهب والاك، وفارين إلى أن (علم اللغة) ما إن يكرّس نفسه لخدمة الأدب حتى يستحيل إلى أسلوبية [نظرية الأدب، ص ٢٤ (صدرت ط ١ عام ١٩٤٥، وط ٣ عام ١٩٦٢)]. ويجزم بيير غيرو في كتابه «الأسلوبية» السابق الذكر أن الأسلوبية مصبّها النقد، وبه قوامها (ص ١٢٦). كما ذهب جورج مونان إلى أن أية أسلوبية لا بدّ ينتهي بها المطاف إلى البلاغة، وأن أية نظرية أسلوبية لا تفسّر لماذا كل أسلوبية تصيح بلاغة، لا تكون بلغت المنابع الحقيقية لسرّ الأسلوب، [علم اللغة، ص ١٥٢ (صدرت ط ١ عام ١٩٦٨، وط ٢ عام ١٩٧١)].

كما ذهب مارتينين إلى أن الأسلوب يفترض إنضاجاً، قد يكون في بعض الأحيان لا شعورياً، ولكن لا غنى عنه. وفي نفس الاتجاه اكد سبترز، وريفاثير على الطابع الشخصي للمتكلّم في كلامه، [انظر «علم اللغة»، السابق الذكر، ص ١٦٢ وما بعدها..].

لقد تناولت تحليلات الأسلوبيين للأسلوب، الظاهرة الأسلوبية من زوايا مختلفة:

فمن زاوية المتكلّم، أي الباث للخطاب اللغوي: الأسلوب، هو الكاشف عن تفكير صاحبه، أو هو الانسان نفسه، على حد تعبير (بينون)..

ومن زاوية المخاطب، أي المتلقي: الأسلوب، ضغطٌ مسلّطٌ على المخاطبين؛ والتأثير الناجم عنه يصير إلى مفهوميّ الإقناع، والامتناع. وفي نظر ستندال جوهر الأسلوب في تأثيره؛ وحسب فاليري، وأيضاً جيد: الأسلوب هو سلطان العبارة..

وأما من زاوية الخطاب: فإن غالبية الأسلوبيين يعتبرون الأسلوب موجوداً في ذاته ولذاته؛ وقد حصر شارل بالي مدلوله في تفجّر الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة، بخروجها من عالمها إلى حيّز الوجود اللغوي؛

كما عرّف ماروزو الأسلوب بأنه اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من حالة الحياد اللغوي إلى خطابٍ متميّزٍ بنفسه.

### الاتجاهات والمناهج:

كان من الطبيعي إذن، أن تتنوّع الاتجاهات في الأسلوبية، وتنوّع بالتالي المناهج: تحمّس قوم لاجتماعية اللغة، وتعبيريتها. وتحمّس آخرون للتكوين الأسلوبي، وظروف تجربته. وآخرون تحمّسوا لبُنية النص، كما يقدمها المؤلف الواحد، وغير ذلك..

ونحلّل فيما يلي الاتجاهات الكبرى الثلاثة في الأسلوبية، وهي على التوالي: أسلوبية التعبير، والتي عنيت بالتعبير اللغوي؛ والأسلوبية التكوينية، التي عنيت بظروف الكتابة؛ والأسلوبية البنيوية، والتي عنيت ببنية النصّ الأدبي، جهازه اللغوي، غنّيته، مفرداته، تراكيبه، دلالاته..

أسلوبية التعبير، (شارل بالي): يرى شارل بالي أن اللغة، سواء نظرنا إليها من زاوية المتكلم، أم من زاوية المخاطب، حين تعبّر عن الفكرة، فمن خلال (موقف وجداني)؛ بمعنى أن الفكرة حين تصير بالوسائل اللغوية (كلاماً)، تمرُّ لا محالة بموقفٍ وجداني، من مثل الأمل، أو الترجّي، أو الصبر، أو الأمر، أو النهي وهلم جراً..

هذا المضمون الوجداني للغة، هو الذي يؤلف موضوع الأسلوبية في نظره؛ وهو الذي نجب دراسته عبر العبارة اللغوية - مفرداتها، وتراكيبها؛ من دون النزول إلى خصوصيات المتكلم، وخاصة المؤلف الأدبي؛ لأن ذلك من اختصاص البحث الأدبي في الأسلوب، وليس من اختصاص الأسلوبية، كعلمٍ لغويٍ منهجي..

إنه يقول: - تدرس الأسلوبية الوقائع المتعلقة بالتعبير اللغوي من وجهة نظر محتواها الوجداني، أي التعبيرية اللغوية عن وقائع الوجدان، وأثرها بالتالي على حساسية الآخرين، [في الأسلوبية، ص ١٦]؛ وهذه الوقائع تنعكس في نوعين من (الآثار) يكشفان عن الأساس الوجداني لأسلوب المتكلم أو الكاتب: آثار طبيعية، وآثار مبتعثة..

أ - الآثار الطبيعية: مثل تساوي الشكل والموضوع، أو الصورة والمضمون، كالعلاقة بين الصوت والمعنى في أسماء الأصوات؛ أو العلاقة بين المعاني والصور البلاغية التي للتعبج والاستفهام، والتقديم، والتأخير، والحذف.. وهي وقائع طبيعية في تعبيرية اللغة..

ب - والآثار المبتعثة: هي نتيجة المواقف الحياتية؛ وتستمد أثرها التعبيري من الجماعة التي تستعملها، كالفارق بين النبل والابتذال في الاستعمال اللغوي، ودلالة كل منهما على المتكلم؛ وذلك

أن كل كلمة ، وكل تركيب لغوي يخص حالة لغوية ، واجتماعية معينة ؛ فهناك اللهجات ، والنبرات ، وهناك لغات للطبقات الاجتماعية ، والأوساط العلمية والأدبية ، ثمّ يعكس الميول الفكرية والاجتماعية للمتكلّمين ..

هناك إذن وسائل تعبير للجميع ، هي (أسلوبية جماعية) ، تعود إلى القصد الارادي في استعمال وسائل اللغة ؛ وقد درسها (شارل بالي) عن طريق تتبع بصمات الشجن في الخطاب ، أو وجدانيته .. ولذلك قُسم الواقع اللغوي ، أو الخطاب ، إلى نوعين : منه ما هو حامل لذاته ، وغير مشحون بشيء ؛ ومنه ما هو حامل للعواطف ، والانفعالات . وموضوع الأسلوبية هو هذا الجانب الوجداني ، العاطفي في الخطاب ، أو لنقل : الكثافة الوجدانية ، العاطفية التي يشحن بها المتكلم خطابه في شتى الاستعمالات ..

وجوهريّة البحث الاسلوبي ، كبحثٍ استكشافيٍّ ، هي إذن في أنه يتواجد في (اللغة) وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية ، والإرادية ، والجمالية ؛ هذه الوسائل التعبيرية تتكشف في اللغة ، تلقائياً ، قبل أن تبرز في الأثر الأدبي ، أو الفني ، وهي مطلقة الوجود .. إن اللغة مجموعة (شحنات) معزولة عادة عن بعضها ؛ والأسلوب هو إدخالها في تفاعل فيما بينها ؛ إنه هو الاستعمال نفسه ؛ والأسلوبية لا تبحث عن مشروعية وجودها إلّا في الخطاب ، كظاهرة لغوية ..

وقد أنجزت ، في هذا الاتجاه التعبيري الذي أوجده بالي ، دراسات متنوّعة تتعلّق بالمعجمية ، والتراكيب ، والدلالات ، وغيرها .. توسّع كريسو ، وماروزو في تعبيرية اللغة وصارا إلى نقدٍ لاستعمال الكلمات ، أو تراكيب الجمل ، في حين كان بالي يعتبر أن وسائل التعبير غير الأسلوب الشخصي ..

ودرس ألنبرج : الحذف والمصدرية في الفرنسية ؛ وأولمان : الفعل الماضي في المسرح المعاصر ؛ وبلنكنبرج : نظام الأفعال ، وغيرها .. ناهيك بالبحث اللغوي النفسي الصريح ، والذي يعود الفضل فيه إلى بالي .. وقد أنجزت فيه عدة دراسات ، مثل : « الفكر واللغة » لبرينو ؛ و« مبادئ علم اللغة النفسي » لفان جينيكن ؛ و« دراسات في علم النفس اللغوي » لبوس ، وغيرها ..

٢ - أسلوبية الكاتب ، (ليو سبتزر) : وهي ما أطلق عليه اسم (الأسلوبية الأدبية) ، أو الأسلوبية النقدية ؛ بفعل تقرّبها من الأدب ، واعتادها على النقد .. فقد رفض ليو سبتزر التفرقة التقليدية ، التي تقام بين دراسة اللغة ، ودراسة الأدب ، فاصطنع الحدس ، وراح يضع نفسه في قلب العمل الأدبي ، ليدرس أصالة (الشكل اللغوي) الذي له ، وهي في نظره الأسلوب .

لقد كان لهذا الاتجاه أثر كبير في الدراسات العليا والجامعية، للأدب والأسلوب؛ وقد دعمه ليو سبتزر بتصانيفه المختلفة: «دراسات في الأسلوب» عام (١٩٢٨)، ثم «علم اللغة وتاريخ الأدب» عام (١٩٤٨)، ثم «في الأسلوبية» عام (١٩٥٥)، وغيرها.. حيث نجد آراءه، ومنهجيته، وهي التي عرفت بطريقة (السياج الفيلولوجي)، أي الفقه - لغوي، أو الدائرة الاستنتاجية المترتبة على (التعاطف الحدسي) مع النص بشق تفاصيله.

والمبادئ التي تقوم عليها هذه الطريقة الفقه - لغوية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ - نقطة الانطلاق في البحث الأسلوبي، هي العمل الأدبي نفسه؛ وليس أية فكرة قبلية خارج هذا العمل كنص لغوي قائم بذاته..

٢ - البحث الأسلوبي هو بمثابة جسر بين علم اللغة، وتاريخ الأدب؛ لأن معالجة النص في ذاته تكشف عن ظروف صاحبه.

٣ - أن الخصيصة الأسلوبية هي، في نهاية الشوط، انزياح شخصي، يفتقر به الكاتب عن جادة الاستعمال العادي للغة.

٤ - اللغة تعكس شخصية الكاتب، ولكنها - مثل غيرها من وسائل التعبير - تخضع لهذه الشخصية..

٥ - إن مبدأ العمل الأدبي هو فكر صاحبه، وليس أي شرط مادي؛ إن فكر الكاتب هو عنصر (التناسك الداخلي) للعمل الأدبي...

٦ - لا سبيل إلى بلوغ حقيقة العمل الأدبي بدون التعاطف مع صاحبه؛ وأن الأسلوبية - في اصطلاحها الحدسي، وعملها التحليلي والتركيبى لانطباعاتها - تصبح نقداً تعاطفياً لا غنى عنه..

المهم، أن سبتزر استطاع، بهذه المنهجية الحدسية الاستنتاجية، أن يتحرر من التسليك العلمي، وصورته، والاعتاد بالتالي على اصطناع الانطباعات الشخصية بشكل موضوعي، يعالج النص ككل، ويدرسه في صلاته بصاحبه..

وفي هذا الاتجاه، الذي هو في الأساس أسلوبي نقدي، تدخل محاولات المدافعين عما سمي بالنقد الموضوعي، ومنهم باشلار؛ لقد درس (باشلار) موضوعات التكوين الأدبي، استناداً إلى نفسية الكاتب، والتي تظل وراء كتابته؛ وله أيضاً دراسات تكوينية في الاستعارة، والمجاز المرسل، والشعرية.

وقابل بارت الأسلوب بالكتابة؛ وكلاهما - في نظره - متميز عن اللغة؛ لقد ربط الأسلوب

بالمزاج ، وعرفه بأنه ظاهرة من نظام بذري إنضاجي .. ومن هنا طابع (الضرورة) الذي للأسلوب في نظره ، في حين تحمل الكتابة طابع (الحرية) ، لأنها تظل موضوع القصد ، والاختيار .. كما استعان شارل مورون بالتحليل النفسي لتفسير موضوعية الأسلوب ، كما تكشفها في نظره الصور البلاغية ، والتراكيب اللغوية ، هي في نظره تدلّ على الأسطورية الشخصية ، والصميمية للكاتب ..

ودرس هنري مورير النماذج الأساسية للأساليب من زاوية نفسية ؛ وفي كتابه « علم نفس الأساليب » ، والذي يعود إلى عام (١٩٥٩) ، يحلل (الكيفيات) الخمس للأنا العميقة ، وهي : القوة ، والإيقاعية ، والتوجه ، والحكم ، والتماك ، والتي اعتبرها بمثابة المكوّن الفعلي للطابع .. إن لكل من هذه الكيفيات (وسائل تعبير) خاصة ، تؤثر في أسلوب الكاتب ؛ وقد عدّد مورير سبعين نموذجاً من الأساليب ؛

هذه الدراسات المختلفة تقوم على فكرة أن الأسلوب هو الانسان ، ولكن ميزتها عنايتها بالكوين ؛ ولذلك تنعت (أسلوبية الكاتب) بأنها أسلوبية تكوينية .. ٣ - الأسلوبية البنيوية : وتُعرف أيضاً باسم الأسلوبية الوظيفية ؛ وترى أن المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية ليست فقط في اللغة ، ونمطيتها ، وإنما أيضاً في وظائفها ؛ بحيث لا يمكن تعريف الأسلوب ، خارجاً عن الخطاب اللغوي كرسالة ، أي كنصٍ يقوم بوظائف إبلاغية في (الاتصال) بالناس ، وحمل المقاصد إليهم ..

وقد أكّد جاكبسون على ما يحمله الخطاب اللغوي من هذه المقاصد ، أي رسالة الخطاب ؛ واعتبر أن الأسلوب يتحدّد بما هو حاضرٌ في الخطاب من (الإنضاج) ، الشعوري منه والاشعوري ، بمعنى أن (الوظيفة الشعرية) تظر بما يستهدفه الخطاب ، أي هدف الخطاب كرسالة ، أو بعبارة أخرى أن (الرسالة) هي التي تخلق أسلوبها ..

إن التحليل البنيوي للخطاب يدل على أن كلّ نصٍ يؤلف بنية وحيدة ، يستمد منها الخطاب مردوده الأسلوبي ، والذي هو خاص به دون غيره ؛ وفي دراسته : « قواعد نحو الشعرية ، وشعرية قواعد النحو » ، يرى جاكبسون أن قواعد نحو الشعرية هي دراسة وسائل التعبير الشعري في اللغة ؛ في حين أن شعرية قواعد النحو هي دراسة الآثار المترتبة على هذه الوسائل ..

لقد حمل جاكبسون التحليل الأسلوبي إلى مستوى البنية ، أي الهيكل الناطم للخطاب ككل ؛ واعتبر في القواعد وظيفيتها في التعبير الشعري ، بينما اعتبر أن الآثار المترتبة تتعلق بوضع (الوحدات اللغوية) ، أي الكلمات في الخطاب اللغوي ، وعلاقاتها بعضها ببعض ؛ وهذا يعني ، بعبارة أخرى ، أن (الظاهرة الأسلوبية) تتعلق في الأساس ببنية النص ..

وقد حلّل جاكسون، مع صديقه العالم البنيوي الاجتماعي ليفي شتراوس، قصيدة القطط لبودلير، تحليلاً بنيوياً، (نشر البحث في مجلة الانسان عام ١٩٦٢)؛ وكانت طريقتهما في ذلك هي الكشف عن العلاقات التي بين الأبنية الصرفية، والتراكيب أو (بناء الجمل)، والدلالة أو (المعنى)، والوزن، أو (الإيقاعية) في القصيدة ككل..

إن النص الأدبي في نظر جاكسون، خطاب تغلّبت فيه الوظيفة الشعرية التي للكلام.. إنه خطاب تركّب في ذاته، ولذاته، (دراسات في علم اللغة، ج ١، ص ١-٣). والأسلوب هو الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب، ويتحدّد بتوافق عمليتين متواليتين في الزمن، متطابقتين في الوظيفة، هما: اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي الذي للغة؛ ثم تركيبها تركيباً تقتضي بعضه قواعد النحو، ويسمح ببعضه الآخر التصرف في الاستعمال (ص ٢٢).

إن التطابق بين (جدول التوزيع) الذي للرصف، و(جدول الاختيار) الذي للنمطية الاستبدالية، يقرر الانسجام بين مفردات النص الأدبي، باعتبارها علامات استبدالية، أي وحدات لغوية معجمية، في عملية (الإبلاغ).. إن أصالة جاكسون في أنه دلّل كيف أن الأسلوب كأثر للشعرية، هو تعادل يرتكز على المزج بين الجدولين..

وأن الدراسة الأسلوبية التي أقامها ليفان - على ما أسماه بالمزاوجة بين الأشكال - تدخل في هذا الاتجاه البنيوي. ففي كتابه: «البنيات اللغوية في الشعر» - عام ١٩٦٤، يدرس ليفان بنية القصيدة، استناداً إلى رصف المفردات فيها الرصف المقارن أو المتوازي..

ثم نجده يستشهد برأي جاكسون: إن (الوظيفة الشعرية) هي إسقاط مبدأ التعادلية من محور الاختيار على محور التوزيع الذي للسبك. ويرى أن الشعر يقوم على قيم هذا الإسقاط التعادلي، والذي تصوير (الأشكال) بواسطته تتجّه دلاليّاً نحو المعنى، الذي هو مركز القصيدة..

فهناك (أشكال) مرصوفة في أوضاع متعادلة، تعطي تعادلات دلالية؛ وهي التي تعطي القصيدة نمطيّتها اللغوية ومعجميتها، وبالتالي بنيتها وأسلوبها.. وكما ليفان، فقد اصطنع ريفاتير مبدأ التعادلية، والذي يعود إلى جاكسون، وقال بمزاوجة (العلامات اللغوية)، وأيضاً التضاد فيما بينها..

وقد عمل ريفاتير، في الجانب النظري، على تبرير وجود المعيار في البحث الأسلوبي؛ إن الأسلوب في نظره خصيصة للخطاب اللغوي، ولا يوجد إلّا في النص؛ إنه الحصيصة التي تحدّد المضمون الإبلاغي للعلامات اللغوية، عن طريق المزاوجة والتضاد؛ وإذن فلا سبيل إلى تحديده إلّا عن طريق المتلقي أي المستمع، أو القارئ..



---

ويعرّف ريفاتير الأسلوب بأنه إبراز عناصر الكلام، وحمل المتلقي له على الانتباه لها، بحيث إذا غفل عنها شوّه النص، وإذا حللها وجد فيها دلالات مميّزة خاصة.. وأما الانزياح، فهو في نظره: بعدّ، أو عدول، أو خروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه؛ فهو حيناً خرق للقواعد، وحيناً آخر لجوء إلى ما ندرّ من التراكيب.

في الحالة الأولى، هو من مشمولات البلاغة، فيقتضي تقيماً بالاعتماد على المعيار؛ وفي الحالة الثانية، البحث فيه مطلبٌ لغوي، وأسلوبى.. إن بنية النص، من حيث العبارة وتركيبها، تبرز مستويين: أحدهما، يمثّل النسيج الطبيعي، والآخر يزدوج معه ويمثّل مقدار الانزياح، أي الخروج عن حدّه؛ ولذلك اقترح ريفاتير ما أسماه بالسياق الأسلوبى، تعويضاً عن (الاستعمال)، والذي يحدّد النمط العادى..

يضاف إلى ذلك، أن الشكليين جدّدوا حركتهم في اتجاهٍ بنيويٍ جديدٍ، عام ١٩٦٠؛ عمل رويت، وجان كوهين، وأيضاً ليفان وغيرهم على وضع المطابقات بين الخصائص الشكلية للنص، وبين جماله، استناداً إلى تحليل التوازيات الصوتية، الصور التركيبية، صور الأسلوب وغيرها؛ وقد عادت إلى الظهور معهم من جديد مشكلة الصلة بين الأسلوبية وبين النقد الأدبي، وبينها وبين التنظير الأدبي على العموم..

وختاماً، لا بد من أن نسجّل أن الإخلاص للمنهجية العلمية، إن كان سمح بازدهار الأسلوبية كعلم للأسلوب، ولكنه لا يتنافى مع اصطناع الذوق، وحدوسه النقدية والبلاغية؛ وقد دلّلت التجربة الفعلية لتطوّر البحث الأسلوبى، أن الأسلوبية لا تتعارض مع النقد الأدبي، والبلاغة؛ على العكس، إن بهما قوامها.. تتّسع تحليلاتهما على مختلف المستويات التي لها، كما تتّسع للتنظير الأدبي وجماليته، مما يمكن أن يفيد في تطور النقد والبلاغة نفسيهما، في اتجاه الحق والأصالة..

---

### المصادر

الأسلوبية، لبيير غيرو؛ علم اللغة، لجورج مونان؛ الأسلوبية، لجورج تورنير؛ الأسلوبية والاسلوب، لعبد السلام المسدي؛ ومراجعتها لنا في مجلة المعرفة، والمراجع المحال إليها فوق.